

دلائل الإعجاز

يُوحَى) . فلا ترى أَنَّ الإِثباتَ في الآيتين جميعاً تأكيدٌ وتثبيتٌ لذَنِي ما نُفِيَّ .
فالإِثباتُ ما عُلِّمَ النَّبِيُّ وَأُوحِيَ إِلَيْهِ ذِكْرًا وَقَرَأْنَا تأكيدٌ وتثبيتٌ لذَنِي ما
يكونَ قد عُلِّمَ الشَّعْرَ . وكذلك إثباتُ ما يتلوهُ عليهم وحيًا مِنْ أَ تَعَالَى تأكيدٌ
وتقريرٌ لنفِيٍّ أَنْ يكونَ نُطْقٌ بِهِ عَنَّهُ هُوًى .
وأَعْلَمُ أَنَّ ما منَ عِلْمٍ منَ علومِ البلاغةِ أَنْتَ تقولُ إِنَّه فيه خَفِيٌّ غامضٌ ودقيقٌ
صَعْبٌ إِلَّا وَعِلْمُ هذا البابِ أَغْمَضُ وَأَخْفَى وَأَدْقُّ وَأَصْعَبُ . وقد قَدَّعَ النَّاسُ فيه
بأنَّ يقولوا إذا رأوا جملةً قد تُرِكَ فيها العطفُ : إِنَّ الكلامَ قد استؤنفَ وقُطِعَ
عما قبله لا تطلبُ أنفسُهُم منه زيادةً على ذلك . ولقد غَفَلُوا غَفْلَةً شديدةً .
ومما هو أصلٌ في هذا البابِ أَنَّكَ ترى الجملةَ وحالُها معَ التي قبلها حالٌ ما
يُعْطَفُ وَيُقَرَّنُ إلى ما قبله ثم تراها قَدَّ وجبَ فيها تركُ العطفِ لأمرٍ عَرَضَ فيها
صارت به أجنبيةً ممَّا قبلها مثال ذلك قوله تعالى : (اِنَّ يَسْتَهْزِءُ بِهِمْ
وَيَمْدُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ) الظاهر كما لا يخفى يقتضي أن يعطف على ما قبله
من قوله : (إِنَّما نحن مُسْتَهْزِئونَ) وذلك أنه ليس باجنبيٍّ مِنْهُ بل هو نظيرُ ما جاءَ
معطوفاً من قوله تعالى : (يُخَادِعُونَ أَا وَهُوَ خَادِعُهُمْ) وقوله (وَمَكَرُوا
وَمَكَرَ أَا) . وما أشبه ذلك مما يُرَدُّ فيه العَجْزُ على الصِّدْرِ . ثم إنك تجدهُ
قد جاءَ غيرَ مطوفٍ وذلك لأمرٍ أوجبَ أَنَّ لا يُعْطَفَ وهو أَنَّ قوله : (إِنَّما نحن
مُسْتَهْزِئونَ) حكايةٌ عنهم أَنَّهم قالوا وليس بخبرٍ مِنْ أَ تَعَالَى . وقولُهُ تعالى :
(اِنَّ يَسْتَهْزِءُ بِهِمْ) خبرٌ مِنْ أَ تَعَالَى أنه يجازيهم على كُفْرِهِم واستهزائِهِم . وإذا
كان كذلك كانَ العطفُ مُمتنعاً لاستحالةِ أَنْ يكونَ الذي هو خَبَرٌ مِنْ أَ تَعَالَى معطوفاً
على ما هو حكايةٌ عنهم . ولا يُجَبِّبُ ذلك أَنَّ يخرجَ من كونه خبراً مِنْ أَ تَعَالَى إلى
كونِهِ حكايةً عنهم وإلى أَنَّ يكونوا قد شَهَدُوا على أنفسهم بأنَّهم مؤاخَذُونَ وَأَنَّ
أ تَعَالَى يُعَاقِبُهُمْ عليه